



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

حال العلوم السياسية في العالم العربي

عدد خاص

ورقة مرجعية

في عام 2010، احتفلت كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة بمرور نصف قرن على إنشائها. ولعلها مصادفة مهمة أن ذكرى مرور خمسين عامًا على بدء تدريس العلوم السياسية في جامعة بغداد مرت أيضًا في عام 2009؛ حيث بدأ التدريس هناك عام 1959، وتبع ذلك إنشاء كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في عام 1963، مع الإشارة إلى أن تدريس العلوم السياسية في جامعة القاهرة كان قد سبق إنشاء الكلية بأكثر من عقدين (بدأ في عام 1937). وبحسب روايات أخرى، كانت هناك بدايات قبل ذلك.

كان إحياء الذكرى في الحالين مناسبة للنظر والتأمل في إنجازات الكلية، وتطور تخصص العلوم السياسية عمومًا، في البلدين. وبالطبع، كان لا بد أن يتناول هذا النقاش حال العلوم السياسية في بقية أرجاء العالم العربي؛ بدايةً بالتأخر النسبي في بروز العلوم السياسية بوصفه تخصصًا مستقلًا في دول أخرى، ظل فيها غائبًا، أو مغيبًا، لفترات أطول عن عديد من الجامعات العربية. عمومًا، جاءت نشأة التخصص بالتزامن مع نهايات الحقبة الاستعمارية، وعودة السياسة إلى الواجهة.

لكن حقبة النشأة تلك كانت هي الفترة نفسها التي شهدت نهاية الحقبة «الليبرالية» في المنطقة، ومعها فورة الانتعاش النسبي في مجالات الفكر والثقافة. وقد أعقبت ذلك حقبة من تدخل الأنظمة «الهجومية» في الشأن الأكاديمي، ومحاولات فرض هيمنة سياسية وأيديولوجية في المجال العلمي، وبالتحديد العلوم الاجتماعية. وعليه، فإن ظهور العلوم السياسية على الساحة تزامن مع بداية تراجع الحريات الضرورية لأي تطور علمي، فضلًا عن علم يتناول شؤون الحكم. ولعلها مفارقة أن عميد الكلية الذي قاد الاحتفال بيوبيلها الذهبي كان الدكتور علي الدين هلال، أحد قيادات ورموز الحزب الوطني الحاكم في مصر، وهو ما يشير إلى استمرارية (وحجم وعمق) تدخلات الدولة في الشأن الأكاديمي.

تكمن المفارقة الرئيسة في تراجع البيئة المواتية لتطور وازدهار العلوم السياسية في الوقت الحاضر؛ حتى من خلال المقارنة بالماضي القريب. وعلى سبيل المثال، نجد مقالة أكاديمية نشرت في عام 1995 عن وضع العلوم السياسية في الإمارات، ناقشت بصراحة نشأة العلم ضمن كلية العلوم الإدارية والسياسية في عام 1977، وتأخر استقلاله، وتغير منظور الدولة لدوره ... إلخ. ولكن كتابة مثل هذه المقالة أمرٌ مستبعد حاليًا في الجو السائد اليوم؛ لأسباب أصبحت واضحة للجميع. ومعلوم كيف هو الحال في كثير من الدول العربية الأخرى، خاصة مصر التي كانت الرائدة في هذا المجال، غير أن الدراسة والتدريس للعلوم السياسية فيها أصبحت مغامرة خطيرة، إلى حدٍّ أن بعض أساتذة العلوم السياسية هناك حوكموا وسجنوا، أو شردوا خارج البلاد، بل إن بعضهم حُكِمَ عليه بالإعدام بتهم تتعلق بعمله الأكاديمي!

وهذا يطرح أسئلة مهمة؛ ليس فقط عن معوقات ازدهار وحيوية التخصص في البيئة العربية، بل عن إمكانية وجوده. فقد ارتبطت نشأة العلوم السياسية وازدهارها خلال القرن الماضي في الغرب بتطابق وتزامن الوعي المتعلق باستقلالية المجال السياسي؛ باعتباره مجالاً له قوانينه وخواصه المميزة له من أي مجال آخر، مع تبلور استقلالية الدارس لهذا المجال وتميزه من باقي الدارسين للقانون أو الفلسفة أو التاريخ وغير ذلك. وكلا الأمرين يتطلب مساحة من حرية الحركة، في المجال السياسي وفي حقول دراسته. فإذا كانت السياسة في الجامعة سجنًا كبيرًا، فأين تتوفر حينئذ المساحة لعلم السياسة؟ بل أين توجد الظاهرة التي ينبغي أن يدرسها؟

صحيح أن نشأة العلوم السياسية جاءت متأخرة نسبيًا، حتى في الغرب، حيث يُورَخُ لظهورها بإنشاء رابطة العلوم السياسية الأميركية عام 1903، في حين تأخر فرع العلاقات الدولية أكثر من ذلك. وحتى في منبتها الأميركي، نجد أن استقلاليتها المؤسسية والتخصصية تأخرت كثيرًا؛ فقد أشار تقرير صدر في الولايات المتحدة الأميركية في منتصف ستينيات القرن الماضي إلى أن أكثر من نصف الجامعات لم تكن توجد فيها أقسام مستقلة للعلوم السياسية، وأن هذه العلوم كانت تدرس في أقسام الاقتصاد أو القانون ... إلخ.

ولكن علم السياسة، رغم ما يؤاخذ به، حقق تقدماً كبيراً في تناول القضايا السياسية، وإثراء النقاش «العلمي» حوله، انطلاقاً من المنظور الغربي. وقد تعززت المؤسسات التي تخدم العلم، من برامج جامعية، وجمعيات مهنية، ومجالس إشرافية، وتمويل متنوع المصادر، وتشابك للتخصصات. وطوّرت التخصص كذلك مناهج ودعاوى «علمية»، إضافةً إلى مجال متميز هو في جوهره دراسة مصادر السلطة (ظاهرة أو خفية) في المجتمع واستخداماتها ونتائجها. فكل هذا عزز دعوى تميزه من غيره من «العلوم» الاجتماعية والإنسانية (من فلسفة، وقانون، وتاريخ، واقتصاد، وعلم اجتماع... إلخ). وقد جاء السعي لخلق هذا التمييز عبر تأكيد «علمية» المادة؛ وذلك بالتركيز على كونها دراسة منهجية للواقع بتجردٍ من المسلمات الأخلاقية والافتراضات المسبقة. فالبحث هنا يكون في الواقع السياسي كما هو؛ لا كما نتمنى أو كما ينبغي أن يكون.

ولكن الشكوى من حال التخصص في المحيط العربي تتركز في تخلفٍ عما أنجز في الغرب، وحتى في كثير من الدول النامية، وأنه ظل عالة على ما ينتج خارج العالم العربي، ولم يجدد في مناهجه، فضلاً عن أن يحقق إضافات وفتوحات علمية تضيف إلى المعرفة. فهو في مصر مثلاً، ما يزال واقفاً عند المدرسة السلوكية بحسب البعض، فضلاً عن ارتباطه بالنظم السياسية القائمة تحت دعوى أنه «علم الدولة» وفي خدمتها، إضافةً إلى ضيق مساحات الحرية والاجتهاد المتاحة، وما أُشير إليه آنفاً من غياب وتغييب.

في المقابل، كانت هناك مساهمات عربية متنوعة في محاولة إحياء التخصص، و«تعريبه» إن صح التعبير. فقد نادى البعض بإنشاء «علم سياسة عربي»، في حين قامت محاولة في إطار ما سُمي «أسلمة العلوم». وكانت هناك أيضاً مساهمات في التنظير العالمي من منطلقات متعددة: ماركسية، وليبرالية، وقومية. وتزامن هذا الأمر مع مساهمات نقدية عربية مهمة في مناهج العلوم الاجتماعية السائدة، خاصة نقد الاستشراق والمركزية الغربية (أنور عبد الملك، وإدوارد سعيد، وسمير أمين، وحسن حنفي... إلخ).

ومع ذلك، يغلب على الحديث الطاعني، عند مناقشة حال العلوم السياسية، منظورُ الأزمة، والعوائق المختلفة؛ من سياسية واجتماعية ومادية. ولا نكاد نسمع حديثاً عن ازدهار أو نهضة أو طفرة. وهو في هذا المجال مشمول بحكم تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2002، الذي حدد الفجوة المعرفية باعتبارها أهم معوقات التنمية في الوطن العربي.

ويهدف هذا العدد الخاص إلى استقصاء حال العلوم السياسية في العالم العربي اليوم، سعياً إلى توصيف الواقع القائم في الحقل أولاً، ثم النظر في الإشكالات والتحديات، مروراً بتقصي الإنجازات، ثم وصولاً إلى مقترحات حول مجالات التطوير وآفاقه. وفي هذا الصدد، نقترح أن يتم التناول بحسب المحاور الآتية:

علم السياسة عربياً: التاريخ والنشأة

تحت أي ظروف نشأت أقسام العلوم السياسية في الدول العربية؟ وكيف اختلفت النشأة بين المشرق والمغرب، وباختلاف الإرث الاستعماري؟ وفي أي البلدان شهدت الازدهار؟ وكيف نمت وتطورت؟ وفي أي البلدان شهدت تراجعاً؟ وكيف نمت من حيث أعداد الطلاب والطواقم التدريسي وعدد الأقسام؟ وأين توجد أفضل الأقسام والكليات التي تُدرّس فيها العلوم السياسية العربية حالياً؟

المدارس والتيارات السائدة في مجال العلوم السياسية في العالم العربي

بأي المدارس الفكرية والأطر المنهجية تأثرت مختلف أقسام العلوم السياسية العربية؟ وهل شمل ذلك التأثير الأيديولوجي؟ وفي أي اتجاه تطورت الأمور في العقود التالية؟ وما هي المدارس والتيارات السائدة اليوم؟ وهل هناك مدارس محلية النشأة أم أن معظمها أجنبي المنشأ؟

تجارب تدريس العلوم السياسية في العالم العربي

إلى أي حد شهد تدريس العلوم السياسية تطوراً نحو الأفضل في المجالات المختلفة؟ وهل استفادت التجارب من بعضها؟ وإن كانت ثمة استفادة، فكيف تمت؟ وأين هي مواطن القوة؟ ثم أين مواطن الضعف والحاجة إلى جهد واهتمام؟ وما هو التقييم المتعلق بخبرتي هذه البرامج؛ من حيث تمكنهم من تخصصهم، والقبول في برامج الدراسات العليا في الجامعات ذات المكانة الدولية، وقابلية التوظيف ... إلخ؟

إسهامات الباحثين العرب في حقل العلاقات الدولية والسياسة المقارنة والنظرية السياسية

ما هي أهم المساهمات البحثية العربية في مجالات العلوم السياسية المختلفة؟ ومن أي البلدان جاءت؟ وأين نشرت؟ وكيف كان تأثيرها الفكري والعملي؟ وكيف كان مدى تقبلها عربياً والاعتراف بها دولياً؟

العلوم السياسية والتحولت السياسية العربية: (قبل، بعد، أثناء)

أي دور أداه تخصص العلوم السياسية تجاه الأحداث الجسام التي شهدتها المنطقة من ثورات وإخفاقات وانفجارات؟ وهل استبقت الأحداث باستشراف أو تحذيرات أم أنها فوجئت بها كما كان حال الدارسين من الغرب؟ وكيف واكب التخصص الأحداث بالتحليل والكشف والمتابعة؟ وكيف يقارن أداؤه بأداء من هم خارج المنطقة؟ وهل استفاد الباحثون من موقعهم في الداخل ومن معرفتهم الوثيقة بملاساتها؟ وكيف انعكس ذلك على أبحاثهم؟ وهل كثر استشهاد كتاب الخارج بما نشره أهل المنطقة أم كان العكس هو الصحيح؟

السلطة والمعرفة السياسية في العالم العربي: الكشف والتعمية

إلى أي حد انعكست علاقة الباحثين ومؤسسات البحث بالسلطة على أداء الباحثين في قضايا المنطقة؟ وإلى أي حد أثر انحياز البعض إلى السلطات في تغطيتهم لأحداثها وتحليلهم لشؤونها؟ وإلى أي حد كان للمواقف المعارضة تأثير مماثل؟ وهل نجح الباحثون في الاحتفاظ بمسافة «علمية» من الأبحاث أم أنهم انساقوا وراء الرغائب والتمنيات؟ وهل أثر دعم الباحثين العرب لقضايا المنطقة في تحليلاتهم وتنظيرهم أم أن التناول كان مهنيًا ومتوازنًا؟ وهل تمتعت المراكز البحثية بقدر كافٍ من الحرية والاستقلالية؟ وكيف كان انعكاس وضع الحريات على البحث العلمي؟

مراكز التحليل السياسي: الدور والأداء والمناخ العام

ما هي أهم مراكز تحليل السياسات في الوطن العربي؟ ومتى نشأت؟ وهل نجحت في منافسة المراكز الدولية فيما يتعلق بدراسة أحوال المنطقة وإعداد الدراسات العالية المستوى ونشرها؟ وهل أصبح صانع القرار يعتمد على تحليل هذه المراكز؟ وما هي الجهات والقطاعات التي تستفيد من تحليلاتها؟ وهل يوجد مناخ عام يسمح بالتحليل المهني المستقل للأحداث والسياقات وآثار السياسات؟

دراسات المناطق والدراسات العابرة للتخصصات في العلوم السياسية

إلى أي حد تطورت دراسات المناطق ودراسات الحالة القطرية في مجال العلوم السياسية عربياً؟ هل تتقيد مراكز البحث العربية بالتقسيمات الخارجية للمناطق («الشرق الأوسط»... إلخ) أم تتبنى تصنيفاتها الخاصة بها؟ وهل تبنت المراكز البحثية العربية دراسات مناطق خارج المنطقة العربية (أفريقيا، وآسيا، وأوروبا... إلخ) أم أن دراساتنا تقتصر على المنطقة العربية؟ وإلى أي مدى تطورت المراكز البحثية مناهجها؛ بحيث تعتمد عبور التخصصات، وتجميع الجهود لإجراء بحوث متقدمة في دراسات المناطق؟ وهل وجدت دراسات المناطق صدىً خارج المنطقة العربية؟